Every dentist's dream

حلم كل طبيب أسنان

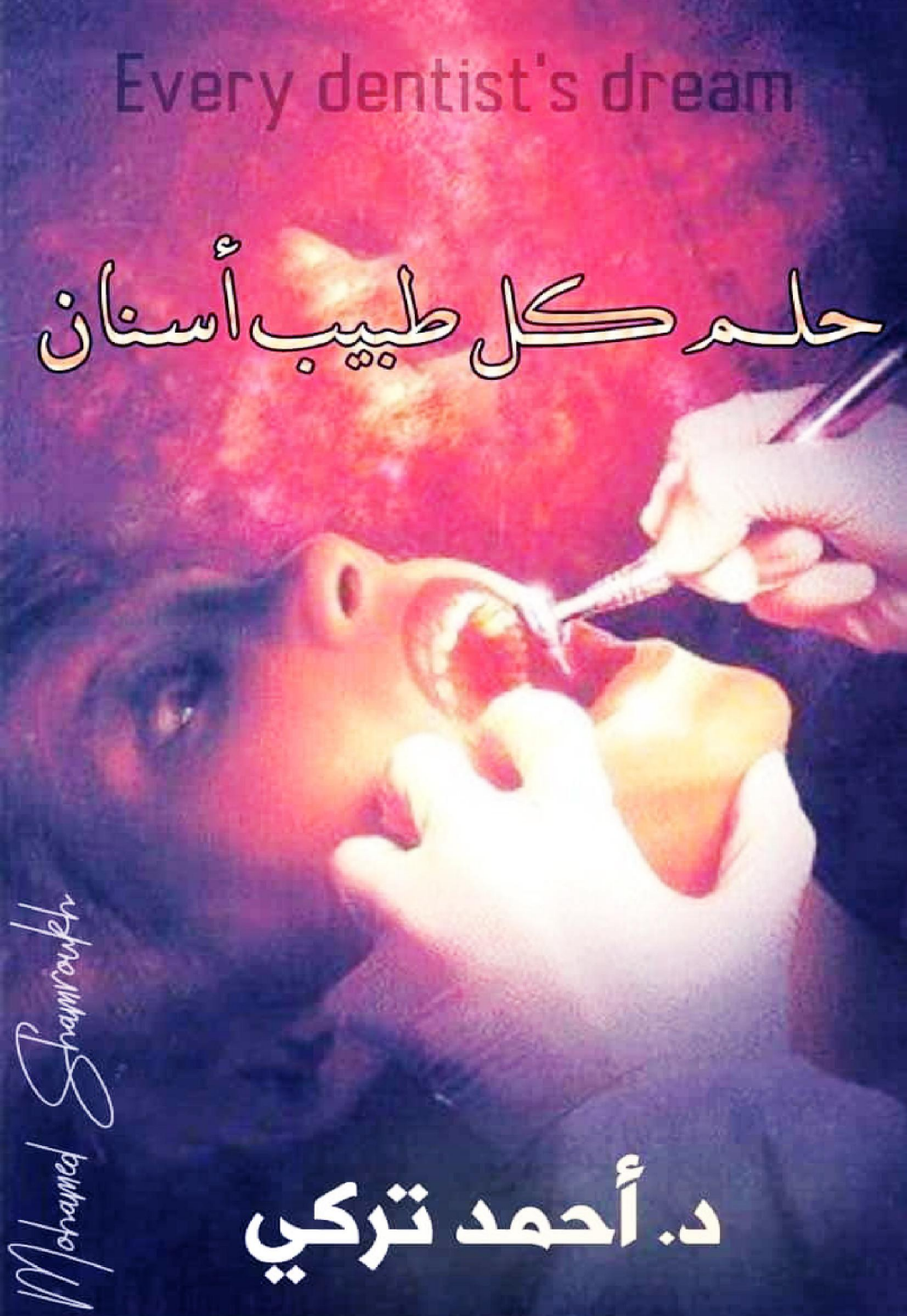

د. أحمد تركي

حلم كل طبيب أسنان

قصة من ترجمة

د. أحمد تركي

غلاف

محمد شمروخ

وقف الرجل ذو البذلة السوداء في غرفة قوية الإضاءة، وقال:

- أنتم هنا لأنكم أطباء أسنان.

أمامه جلس عشر رجال، عشر أطباء أسنان، لا ينظرون لبعضهم البعض، تركيزهم ينصب على الرجل الواقف أمامهم، الذي قال:

- من بين كل المهن الطبية، يملك أطباء الأسنان أعلى معدلات الانتحار!

ثم استطرد:

- وقد دعوتكم لنلتقي هنا كي نتحدث عن..

توقف الرجل ذو البذلة السوداء عن التحدث، تطلع لما بين قدميه، تقدم خطوة للأمام ثم نظر إليهم مجددًا، وقال:

- لنتحدث عن.. الحلم!

تململ أحد الأطباء، أحدهم شبك ذراعيه، بدأوا ينظرون لبعضهم البعض، بنظرات حادة، اتجهت في النهاية نحو الرجل مرة أخرى.

قال أحدهم:

- أنت طبيب أسنان؟

- كلا.

- ولماذا نتحدث معك إذن؟ لن يُجدِ هذا نفعًا، لن تفهم.. لأنك لست طبيب أسنان.

وقال أخر:

- وحتى إن فهمت حلمنا.. فلن تفهمه حقيقة، لن تفهمه.

أومأ الرجل برأسه وهو يستمع لكلماتهم، تنحنح ثم قال وهو يُخرج من حقيبته رزمة من الأظرف، فتح إحداها وأراهم محتوياتها:

- كل ظرف يحتوي على ٥٠٠٠ ألاف دولار، وسيحصل كل واحد منكم على ظرف إذا وافقتم على التحدث معي عن الحلم.

سأله أحدهم:

- ولما تهتم؟ هل هذه أموالك؟ هل أنت صيدلاني؟ ستعطينا دواء ما؟

وقال أخر:

- ماذا تريد؟

أجاب الرجل:

- بغض النظر عن أسبابي.. أملك الكثير من الأموال لكل واحد منكم، فقط إذا أخبرتموني عن الحلم.

لكن إجابات الأطباء كانت مُتشابهة!

- لن تفهم.

- لا يُمكنك الفهم.

غشى الصمت الغرفة لثوانٍ طويلة، وكأن الكلمات قد انمحت للأبد، ثم قال أحدهم:

- أنا سأخبرك!

نظروا إليه بتعجب، ليقول أخر:

- لا يهم، إنه ليس طبيب أسنان، لن يُدرك الأمر.

- لن نخسر شيئًا، سأخبره عن الحلم، فأخذ أموالي وأذهب.

سكت هنيهة ثم قال:

- حسن.. ها هو الحلم..

قاطعه الرجل ذو البذلة السوداء قائلًا:

- أعذرني، أسألكم السماح لي بتسجيل الحوار.

صفق الرجل ذو البذلة السوداء مرتين، فُتح باب من خلفهم، ودخلت إمرأة عجوز، تدفع أمامها آلة كاتبة من نوع ما، محمولة على كرسي متحرك.

- السيدة كرامب، ستسجل ما تقولونه.

تقدمت السيدة العجوز ووقفت أمامهم، رفع الرجل الآلة الكاتبة عن الكرسي، فجلست السيدة كرامب، ووضعت الآلة على ركبتيها، نظرت إلى الرجل ذي البذلة السوداء، لتُعلمه أنها مرتاحة هكذا.

ابتسم الرجل وقال:

- حسن، لو أننا مُتفقين.. فلنبدأ.

وقف طبيب الأسنان يستعد للتحدث، وقال:

- الحلم له علاقة بعدد الفجوات في رأس الإنسان.

تنهد أحد الأطباء الأخرين بصوتٍ عالٍ، وكأنه استمع لتلك القصة ألاف المرات، ثم تمتم:

- لن يفهم.

فقال أخر:

- دعه يحاول.

أكمل الطبيب الأول كلامه:

- كل واحد منا عنده سبع فجوات في رأسه؛ فتحتان لأذنين، وفتحتان لعينان، وفتحتي أنف، وفم.. سبع فجوات.

أسرعت السيدة كرامب بكتابة ما يقول.

- إنه حلم شنيع، يحدث فيه خياطة من نوع ما، ندخل وفيها ونخرج من تلك الفجوات.. هذا يحدث في كل مرة!

رفع الطبيب وضم إبهامه وسبابته معًا وكأنه يُمسك بإبرة:

- أقف أمام مريض مُمسكًا بإبرة وخيط، وتغمرني رغبة عارمة كي.. كي..

أغمض عينيه بقوة وكأنه يُقاوم احتياجه لقص الجزء التالي، لكنه في النهاية استكمل حديثه:

- يجتاحني دافع مخيف لإدخال الإبرة بالخيط في تلك الفتحات.. أُدخلها في أذن وأخرجها من الفم، ثم أُدخلها في فتحة ثالثة فتخرج من الرابعة، ثم تدخل في الخامسة فتخرج من السادسة..

توقف للحظات ثم قال:

- أكلامي صحيح يا رفاق؟

فأجابوا أن نعم!

- تدخل الإبرة في الفتحة السابعة، وتبقى عالقة بالداخل، ليس هناك فتحة ثامنة تخرج منها!

قال الرجل صاحب البذلة السوداء:

- وما المشكلة؟

هتف أحد الأطباء:

- أترون؟ إنه لا يفهم!

وأكمل الطبيب الذي حكى الحلم:

- مشكلة عويصة، في الحلم نشعر بأمرٍ مُقبض، كهالة ما.. أو كيان.. شيء مزعج مُنفر، سمه كما تريد، يأمرنا بأن ما دخل يجب أن يخرج.. وهكذا، أجد نفسي مثني الظهر فوق رجل مُخاط الوجه كما نفعل في الديك الرومي.

وأغمض عينيه مُشمئزًا!

قال طبيب أخر:

- يصعب وصف الأمر، لكن الحلم يبدو حقيقيًا تمامًا، وهناك ما يدعونا للتعجل! يجب أن أُدخل الإبرة فورا في الفتحات وأُخرجها منها، وتبقى تلك الإبرة الملعونة بالداخل في كل مرة، وأظل أجذبها! مع صراخ المريض ودماءه تغرقني.. هل تتخيل الشناعة؟

- رعبٌ صافٍ!

- ومُرهق.

- يستدعي هذا القول بأن الحلم يُصاحبنا في صحونا، في الحلم يستمر الأمر للأبد، تُدخل الإبرة وتُخرجها، وتُدخلها وتُخرجها، وتُدخلها وتُخرجها، ثم تعلق بداخل الجمجمة، فُنعيد الكرة! ونُعيدها.. ونُعيدها.

- ما دخل يجب أن يخرج.

- تدخل وتخرج، وتدخل وتخرج، ثم تدخل وتخرج، ثم تدخل..

تنهد الرجل صاحب البذلة السوداء، وقد سجلت السيدة كرامب كل كلمة.

- ثم.. نستيقظ بعد ليلة كلها وخز وخياطة، ونذهب للعمل، ويجلس مريض أمامك، ولا يكون في عقولنا إلا ما رأيناه في الحلم! هُناك لعنة ما، صعوبة خارقة في التفريق ما بين الحلم والحقيقة.

- نعتقد أننا لو ثقبنا بقوة أكبر في ذاك الضرس، وخرقنا تلك الرأس، فلربما يأتي يوم نحلم فيه بمريض ذا رأس به ثقب زيادة، تخرج منه الإبرة!

- هذا سبب أننا نحفر في الضروس بقوة في كثير من الأحايين.

- وربما يتوقف الحلم يومًا.

- وهو أيضًا سبب وضع الكثيرين منا للمسدسات في الأفواه وجذب الزناد!

- أمر سيء؟ ثقب زائد في الدماغ هو الحل الأكيد الوحيد لإنهاء الحلم.

- ربما ننام حينها!

- نعم.. كل ما نريده هو أن ننام.

ثم صمتوا جميعًا.

هنا تقدم الرجل ذو البذلة السوداء نحو السيدة كرامب، وقف خلفها بحيث أصبح وجهيهما مُقابلين للأطباء، ربت على كتفها بلطف، فرفعت كفيها عن الآلة الكاتبة!

- أدعوكم للتقدم نحونا، سأريكم شيئًا.

ثم قال للسيدة كرامب:

- سيدتي، أرجو أن تُظهري لهؤلاء الناس ما يُميزك!

أرجعت رأسها للخلف ببطء، وبحدة، حتى التقت عيناها بعينيّ الرجل من خلفها، مرر يديه على وجنتيها في رفق، وأخذ يفركهما، ثم نزل إلى جانبيّ فمها، وأخذ يُبعدهما عن بعضهما!

- تعالوا أنظروا.

تقدم أحدهم وحدق في وجه السيدة كرامب، شهق فجآة وهتف:

- ما هذا؟

واقترب أكثر ليتأكد مما رآه، اتسعت عيناه بغير تصديق:

- كيف؟ لماذا؟.. كيف حدث هذا؟!

وأشار إلى حيث فم السيدة كرامب.

- مستحيل!

قال الرجل ذو البذلة السوداء:

- تأملوا جيدًا فيما ترون يا سادة.

تسمرت السيدة كرامب على وضعها، تُعلق ناظريها بالسطح، لا زالت تكتب ما يقولون رغم ذلك.

رأى الأطباء المعجزة وتأكدوا منها، تحسسوا وجهها فازدادوا يقينًا !

- لا فم هنالك!

- وجه دون فم!

- مرسوم بدقة على وجهها، مجرد خطوط مزيفة!

- لديها ستة فتحات فقط في رأسها!

- لا فم.. لا فم!

- تدخل وتخرج، وتدخل وتخرج، ثم تدخل فتخرج.

قالها أحدهم وهو يُحاكي حلمه!

وابتهجوا جميعًا وهم يصيحون أن لا فم لتلك المرأة.

- هذا يعني..

- ما يدخل سيخرج.

يبتسمون، تتسع أعينهم بفرحة، يربتون بحميمية على ظهور بعضهم، وينظرون إلى الرجل.

ترك الرجل وجه السيدة كرامب بلطف زائد، مُستمرة في كتابة ما يقوله الأطباء، الذين يدورون حولها، يعدون الفتحات في رأسها، أذنين وعينين وفتحتي أنف فحسب!

أحدهم كان يبكي ولا يفعل شيئًا غير ذلك.

قال الرجل:

- لقد تم تصنيعها من أجلكم.. كي تستطيعوا النوم.

قال الطبيب الباكي:

- شكرا لك.

وركع أخو ليواجه السيدة كرامب:

- شكرا لكِ سيدتي، شكرًا لأنكِ موجودة، لأنك ستساعديننا كي ننام.

قال الرجل:

- أنا مستعد لتسليمكم الأظرف، لكن قبل ذلك..

وأخرج من جيبه إبرة وخيطًا أسود:

- دعونا نكتشف إن كنا سننجح في الأمر! عجلوا، فما يدخل يجب أن يخرج!

ونظروا في عينيه ليروا ما بدا كشيء مزعج.. مُنفر، وشنيع للغاية.